



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 25-5-95
Photo No. : 175

اسرائيل عربية

رحم الله عصام السرطاوي. في بداية الثمانينات، كان يحلو له ان يتكلم عن الوزن البرلماني الذي يمكن انتزاعه لمصلحة "فلسطينيي ١٩٤٨"، اي الاقلية العربية في اسرائيل. كان السرطاوي يحسب ان لهذه الاقلية القدرة على ائصال كتلة من خمسة عشر نائبا الى الكنيست. وكانت هذه الكتلة تضاف في ذهنه الى كتلة اخرى يمكن للتصويت العربي ان يساهم في تقويتها، اي مجموعة نواب "مفسكر السلام". وبالجمع بين هاتين الكتلتين، كان السرطاوي يذهب الى توقع احتلال مؤيدي الحق الفلسطيني اكثر من ربع مقاعد الكنيست، ما يخولهم لعب دور مفصلي في الحياة السياسية الاسرائيلية. لم تتحقق توقعات السرطاوي. وفي الحقيقة لم يسع احد جنبا الى تحقيقها، لا داخل الاقلية العربية في اسرائيل، ولا في اطار منظمة التحرير الفلسطينية. على العكس، تخبطت القيادة الفلسطينية في تحديد سياستها "الانتخابية" حيال الاحزاب والشخصيات العربية الفاعلة في اسرائيل، كما لم تتخبط ربما في اي ملف آخر. فبين دعم "اللائحة التقدمية" برأسيها، محمد ميعاري العربي وماتيتياهو بيليد الاسرائيلي، وبين الابقاء على العلاقة الوثيقة مع الحزب الشيوعي، ظلت هيئات القرار الفلسطينية تتأرجح، حتى انتهى بها الأمر الى تبني عبد الوهاب الدراوشة، النائب في حزب "العمل" الذي اعتبرته اجيال من فلسطينيي ١٩٤٨ نموذجا لا يحتذى به.

لا يختلف اثنان اذاً في ان الوضع السياسي للأقلية العربية في اسرائيل يرثى له، خصوصاً مع تراجع الحزب الشيوعي بعد انتماء الحرب الباردة ومع فشل تجربة ميعاري وبيليد. ولعل اكبر دليل على تردي هذا الوضع هو القدرة المستمرة للحزب الصهيونية، بما فيها الليكود، على اختراق القاعدة العربية، بعد سبع سنوات من بدء الانتفاضة.

بيد ان هذه الصورة السلبية هي تحديدا التي تعطي قيمة للمشهد النادر الذي شهدناه في الايام الاخيرة: للمرة الاولى في تاريخ الدولة الصهيونية، يؤثر الاعضاء العرب في الكنيست على السياسة الحكومية. والاغرب من ذلك ان هذا التأثير الفريد، انما كتب لهم ان يمارسوه من خلال تقاطعهم مع حسابات زعيم "الليكود"، بنيامين نتانياهو. فهل من شيء ادل على مشاطرة اسرائيل العرب الانعكاسات السلبية لعصر السلام؟ ولنقل، هل من شيء ادل على "تعريب" اسرائيل، بكل ما لكلمة "تعريب" من مساوئ؟

لكن تعريب اسرائيل صار يتخطى الآن مجرد استعارتها نزعاً تدمير الذات التي طالما ميزت العرب. اذ لا يمكن اهمال الحدث العربي الآخر المرادف لقرار حكومة اسحق رابين بالتراجع عن مصادرة الاراضي في القدس تحت وطأة التحالف الأني بين نتانياهو والندراوشة. والحدث الآخر هو القرار المصري بتأجيل القمة العربية المصغرة وارسال اسامة الباز الى اسرائيل، في ما يمكن تسميته "ممارسة الحد الأدنى من الثواب والعقاب". صحيح ان القمة العربية كان يجب عليها ان تبحث في ما هو ابعد من مسألة مصادرة الاراضي في القدس، وان التخلي عنها يصب في خانة التنسيق المفقود. الا ان السياسة المصرية التي املت هذا التخلي لا تخلو من الامة. انها تشير، على رغم هشاشة الوضع العربي، الى ان اسرائيل وضعت نفسها، من خلال التسوية السلمية، في وضع يمكن الدول العربية من التأثير في سياستها الداخلية.

ليس الامر جديداً، كما قد يبدو. ألم يكن مشهد المنطقة في خضم الحروب الصليبية على هذ الحال: تحالفات غير طبيعية وتقاطع مصالح لا تلبث ان تتبدل؟

سمير قصير